(SUJHUS) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
2025 (آذار), مجلد 3,عدد 1 ,الصفحات 63-73

الهوية في روايات نجيب محفوظ

م.د. حازم محمد نجم [1]*

[1]جامعة الشطرة، كلية التربية للبنات، ذي قار، العراق

الملخص:

يعتبر نجيب محفوظ من أهم الروائيين الذين جسدوا الهوية في الأدب العربي ، استطاع أن يرسم صورة واضحة لما يحدث في المجتمع العربي وتحولاته التاريخية ،والثقافية مستخدماً أهم العناصر المساعدة على تشكيل الهوية وهي اللغة معتبرها أهم عنصر يميز انتماء الفرد ، وبعدها الديانة التي ينتمي إليها الفرد ،والمجتمع لتكون جزءا مهما في تشكيل الهوية ، والعنصر التالي هو العادات والتقاليد التي تختلف من بلد لأخر ، وكانت العينة هي أشهر روايات محفوظ (الثلاثية ، زقاق المدق ، اللص والكلاب) والتي دون فيها أهم القضايا المتجذرة في وجدان المجتمع العربي ،والصراعات الحاصلة بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه .

الكلمات المفتاحية: نجيب محفوظ ، الهوية ، اللغة ، المكان ، الدين ، العادات والتقاليد.

The Identity in Naguib Mahfouz's Novels

Lecturer Dr. Hazim Mohammed Najm[1*]

[1]*University of Al-Shatra, College of Education for Women, Thi Qar, Iraq*

Abstract:

Naguib Mahfouz is considered one of the most prominent novelists who embodied identity in Arabic literature. He managed to depict a clear image of the events within Arab society and its historical and cultural transformations. He utilized key elements that contribute to shaping identity, foremost among them being language, which he regarded as the primary factor distinguishing an individual's belonging. Following that is religion, which constitutes an essential part of the identity of both the individual and society. Another significant element is customs and traditions, which vary from one country to another. The sample for this study includes Mahfouz's most famous novels: The Trilogy, Midaq Alley, and The Thief and the Dogs, in which he addressed fundamental issues deeply rooted in the consciousness of Arab society, as well as the conflicts between individuals and the communities they live in.

Keywords: Naguib Mahfouz, identity, language, place, religion, customs and traditions.

المقدمة:

يُعدُّ نجيب محفوظ الأديب المصري و الحاصل على جائزة نوبل للأدب عام 1988، من أبرز الأصوات الأدبية في العالم العربي.

* **Email address: Hazim.mohammed@shu.edu.iq**

تتسم أغلب رواياته بعمقها الفكري ،وثرائها الفني، فقد تناول قضايا ،ومواضيع متعددة تعكس لنا هموم المجتمع العربي والمصري بالخصوص، ومن بين هذه القضايا كانت قضية الهوية موضوع محوري يتجلى واضحاً في العديد من أعماله.

الهوية في روايات نجيب محفوظ موضوعاً مهما متعدد الأبعاد، فهي لا تقتصر على الهوية الفردية فقط ؛ بل تتناول الهوية الجماعية التي تعكس مشاكل المجتمع ،وصراعاته، وتحولاته التاريخية ،والثقافية من خلال شخصياته المعقدة مثل الرجل المتسلط في العائلة ، يبين محفوظ كيف تتأثر الهوية بعناصر مختلفة مثل الدين، اللغة ، الطبقة الاجتماعية، العادات والتقاليد ، الثقافة، الاستعمار، المكان ، والتحولات السياسية ، وكيف عكست رسائله الأدبية قضايا الهوية ذات الجذور العميقة في الوجدان الثقافي للمجتمع العربي والمصري .

فقد سعينا في هذا البحث لاستكشاف مفهوم الهوية كما جاء في روايات محفوظ مع التأكيد على الطريقة التي عالج بها التوترات الحاصلة بين الفرد والمجتمع وبين التقليد والحداثة، وبين الجذور المحلية والتأثيرات العالمية ، سنسلط الضوء على أبرز رواياته ، وكانت العينة هي أشهر روايات محفوظ (الثلاثية ، زقاق المدق ، اللص والكلاب) والتي دون فيها أهم القضايا المتجذرة في وجدان المجتمع العربي والصراعات الحاصلة بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه .

أما الهدف من هذا البحث : تحليل كيف استطاع نجيب محفوظ تقديم صورة واضحة ودقيقة للهوية العربية والمصرية، مما جعله ليكون شاهداً على تحولات المجتمع عبر عقود من الزمن ..

وتم تقسيم البحث إلى مبحثين تسبقهما مقدمة وينتهي البحث بخاتمة مع ثبت المصادر والمراجع ، وكان عنوان المبحث الأول: الهوية في الأدب العربي موضحاً أهم منجزات العرب وكيف تأثروا في الغرب ، أما المبحث الثاني : فعنون بـ عناصر تشكيل الهوية في روايات نجيب محفوظ مركزا فيه على أهم الروايات وأشهرها ، فكان كل من اللغة ،والدين ،والتقاليد ،والعادات من أهم العناصر التي شكلت الهوية في رواياته.

المبحث الأول

الهوية في الأدب العربي

أهتم الأدب العربي بموضوع الهوية عندما استشعر خطر الآخر ، والآخر هنا يعني غير العربي بعد أن أصبح هناك تواصل بين العرب والغرب أتخذ الأدباء نهجاً في الأجناس الأدبية يؤكد على الهوية ، وأهم هذه الأجناس الرواية ، فقد كان المثقف العربي منبهراً بما يقدمه العقل الأخر من جماليات إبداعية في الفنون الأدبية ، إلى الحد الذي تجاوز الاعجاب العربي ((بمعطيات أوربا المادية ، وروحها الثقافية الحقيقية لعظمة الغرب وموروثه الحضاري ، فمن بطل (عصفور من الشرق) وقف مبهوراً ومتضامناً أمام عظمة المسرح الأوربي ، وبخاصة المسرح الفرنسي ولاشك أن عشق محسن للأدب والفن ، وتحوله من دراسة القانون إلى الأدب والفن ، له دوره في هذا الانبهار ، وفي رؤية عظمة المسرح الفرنسي لقد سجّل الحكيم اختلاف مصدر انبهار بطل روايته عن رؤية الغربي ، فهو يحسّ فيه لذّة التطّهر والخضوع في حضرة الفن ، أو لذّة العودة إلى الإنسانية والروح التي توصي بها الموسيقى))[1] ، لكنه في نفس الوقت يؤكد على الهوية العربية والحفاظ عليها وكان يدعو إلى الاستفادة من الثقافة والتقدم عند الغرب دون التقليد والاقتباس الكلي حتى لا نكون عرب لا هوية لنا ، أو نكون كما قال المفكر علي حرب ((وهكذا يجد الإنسان نفسه اليوم بين ثلاث عوالم ، لكل منها هويته ومركز استقطاب الأول هو العالم القديم بأصولياته الدينية وتصوراته اللاهوتية الغيبية أو الماورائية الثاني هو العالم الحديث بفلسفاته العلمانية ورواياته العقلانية أو بأيدولوجياته العالمية وتصريحاته الإنسانوية ، الثالث هو العالم الآخذ في التشكل الآن ، أي عالم

العولمة يقاضه السبراني ومجاله الإعلامي))[2] ، فلابد من العثور على ذواتنا كي نمارس أدوارنا الاجتماعية التي تربينا عليها.

*** الهوية والثقافة اللغوية**

تعد اللغة من أهم المكونات المحددة للهوية ، فهي وسيلة من وسائل التخاطب والتفاهم ووسيلة للتعبير عما تضمره النفس الإنسانية من عواطف وأحاسيس تجاه الأشياء .

وكذلك تميز أمة عن أمة أخرى وكما عرفها ابن جني ((أصوات يعبر بها كل قوم أغراضهم))[3]

فهي وسيلة يستخدمها الناس في الحياة اليومية واختلافها بين الأقوام والأمم بعد اختلاف في الهويات ؛ إذ أن اللغة تحدد الهوية لدى الأمم ، والثقافة اللغوية تتضمن التقاليد والقيم التي تنتقل من جيل إلى أخر عبر اللغة ، وبالتالي فإن اللغة ليست فقط مفردات وتراكيب بل هي أيضاً قصص وأمثال وتعبيرات وأشكال فنية ، وكذلك تشمل الأدب والتراث الأدبي الشفوي مثل الحكايات الشعبية والأمثال والأشعار التي تعكس اهتمامات المجتمع وتجاربه ، ولأدوار سعيد رأي بتفجير اللغة العربية كي تكون سلاحاً تقاوم به الاستعمار الفكري والعسكري ، أي أننا نولد الكلمات ونعتز بها لتكون ضمن حصيلتنا اللغوية [4] وهذا الرأي ممكن عده ردة فعل على الفترة المظلمة التي عاشتها لغة الضاد حيث ((إن لغة الضاد عاشت الواناً من الضيم طيلة الحقبة الاستعمارية ، ولاسيما في الأمصار التي كتبت عليها الأقدار أن تعيش تحت نير الاستعمار الفرنسي ، وحين دالت الأمور وصلت دولة الاستقلال إلى محل منظومة الحماية أو الانتداب أو الاستعمار ، لم تجد اللغة العربية نفسها أفضل حالاً كانت عليه ؛ اللهم إلا إجراءات شكلية دون الجوهر ، وسنرى أنصع قرينة دالة على ذلك في أوضاع المؤسسات المسماة بالمجامع وما ألت إليه من تناقض صارخ بين المنجز فيها والمأمول منها))[5] ، فالاحتلالات على الوطن العربي ساهمت بشكل كبير على طمس اللغة العربية ، وأخذ الاستعمار وينشر لغته في كل دولة يسيطر عليها ، لكن انتفاضة ثلة من المثقفين وتأسيسهم مجامع للغة العربية التي لازال صداها ليومنا هذا هي من استطاعت الحفاظ على لغتنا العربية من الضياع بعد القرآن الكريم .

والدكتور علي حرب له رأي أخر على ما يجري في زمننا الحاضر في هذا الخصوص قال أن ((دعاة التحديث للتراث والتمرير للبشر أو التغيير للعالم ، أنما يتعاملون مع حداثة العولمة ، بفتوحاتها ومتغيراتها على سبيل السلب والنفي ، بوصفها استباحة للقيم وغزواً للثقافات أو فخاً للهويات وتسلطاً على الشعوب والمجتمعات في حين أن الأمر ، بحسب لغة الحدث ومنطق المفهوم ، إنما يتعلق بوقائع وأحداث علمية وتقنية ، تحدث انقلاباً وجودياً يتجسد في إنتاج سلع من نوع جديد ذات رفاهية اثيرية افتراضية او شبحية ، بات يتوقف عليها الإنتاج المعرفي والمادي على السواء))[6] ، وهذا يبرر ما يحدثه الذكاء الاصطناعي من ثورة معلوماتية تفوق الخيال وهو نتاج معرفي لا يمكن عدة غزو ثقافي ، وبالنسبة كهوية ليست ثانية بل تتطور مع الزمن وهذا التطور لا بد منه , حيث أن كل شيء قابل للتغيير ، ولذلك فان الهوية قد تتأثر في البيئة المحيطة أو تتفاعل مع ثقافة البلدان المحيطة ، وهاهم العرب أو الدول العربية و((على الرغم من كل تعقيدات الصراع العربي / الإسلامي ، وصعود نزعات التدين والتطرف ، ودور المؤسسات الصهيونية السلبي على هذا الصعيد ، كانت هناك ، ومازالت علاقة خاصة بين القادمين من الغرب الكبير من مسلمين ويهود في المعاملات اليومية والتجارة الصغيرة بل وعقود العمل))[7]، وحتى عندما هاجر الكثير من المسلمين إلى بلاد الغرب لم يفقد الإسلامي هويته الدينية بل ساعدت بعض المؤسسات التعليمية على تلاقح الأفكار بين العرب والغرب ((فلو أخذنا البرنامج التعليمي لمعهد أبن سينا في مدينة (ليل) الفرنسية لوجدنا محاولة من محاولات أنتاج اسلام بهذه الملامح ، يحرص على أن يكون على علاقة مع

الأزهر باليد اليمنى ، والمؤسسة الثقافية الأوربية في اليد اليسرى))[8]' ففكرة السيطرة الثقافية ممكن أن نستبدلها بالتعددية الثقافية لأن التعددية والهيمنة هي التي تشكل الهوية الأساسية اليوم شئنا أم أبينا فلا تكون هذه الصحية بالضرورة عدائية ، بل تؤدي للمشاركة وتجاوز الحدود[9] ، لو أخذنا بنظر الاعتبار اللغة الإنكليزية وكيف اجتاحت العالم ففي هذه اللغة دونت الابتكارات والعلوم الجديدة منها الطبية وغير الطبية فأصبح من الضروري التعامل مع هذه اللغة وتعلمها للاستفادة من هذه الابتكارات في الدول العربية ، فأصبحت اللغة الاجنبية في أغلب الدول العربية هي لغة التعليم والبحث العلمي لكن وبنفس الوقت الحفاظ على الهوية ضرورة من ضرورات الدولة فأنبثق مصطلح (السياسة اللغوية) والتي عرفها لويس جان كالفي ((السياسة اللغوية هي مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية ، وبالتحديد بين اللغة والحياة والوطن))[10] وبهذه السياسة تستطيع الدول العربية الحفاظ على الهوية مع تلاقح الرؤى والأفكار ومن هذا المنطلق طرح احد الباحثين أسئلة جوهرية تخص الموضوع . قال ((هل يستمر الوضع نفسه في حال دخول لغة أخرى غريبة عن (ذات الهوية) إلى مجالها السيادي من باب التعليم أو البحث العلمي ؟ هل تستطيع الهوية مقاومة التأثيرات السلبية للغة الوافدة ؟ كيف يمكن لغوية هذا الاضطراب الهوياتي ؟ هل بأقصاء اللغة الوافدة والانغلاق على الذات أم بالاستيعاب العقلاني لها))[11] ، وهذه التساؤلات مهمه والإجابة عنها لا بد أن تكون من باحث ملم في التاريخ لتكون الإجابة واقعية حدثت بالفعل ،وممكن أن تكون الإجابة من خلال وصف اللغة كائن فاعل في إنتاج الهوية وبالأخص أذا كانت هذه اللغة تحمل فكراً ديناً ، للدين أثر واضح في تغيير ملامح الهوية ، فالدين الإسلامي عندما دخل البلدان فرض تعليم اللغة العربية لأن القرآن لا يقرأ إلا بها ، وهذا ما حدث مع المغرب مثلاً عندما تحولت من الأمازيغية إلى العربية ((وتسوق مثال تركيا الكمالية : كان مصطفى كمال (أتاتورك) يدرك جيداً طبيعة العلاقة بين اللغة العربية والهوية العثمانية كتركيا والقائمة على الإسلام ، لهذا أسرع في استهداف تعزيز مكانة اللغة التركية وتصفية الوجود اللغوي العربي ، وفي النهاية ترسيخ العلمانية ، ومن أهم قرارات هذه الثورة ، وضع أبجدية اللغة التركية 1928 ، الغاء تعليم العربية (1929) الزام الأتراك قراءة القرآن بالتركية بدلاً العربية 1931)) [12] .

أذن العامل الديني له أثر كبير أذا كانت اللغة الوافدة تحكى به ، أما إن اقتصرت على التعليم والبحث العلمي فأعتقد يكون تأثيرها على هوية الدولة ضعيف .

***الهوية في الرواية العربية**

أكدت الرواية العربية على الهوية العربية كما كانت قبلها القصيدة في بداياتها عنصر مهم من عناصر تأكيد الهوية ((حظي الأدب عموماً وفي الرواية خصوصاً تتحقق الهوية في مفهومها البسيط ادراك الفرد نفسياً لذاته ، ورغم اتساع المفهوم ليشمل مفاهيمها الاجتماعية والثقافية وحتى العرفية ، فأنه ظل محافظاً على مايدل عليه التفرد والتميز وخصوصاً الجانب الخاص بالهوية الثقافية ، حتى شبهت الهوية بالبصمة المميزة للفرد ، والمفهوم ينطبق على الفرد كما ينطبق على الجماعة مع احتفاظه بأهم مقوماته الإدراك بما يعني الوعي بأمر المعرفة))[13] ' ونجد ذلك واقعاً في أغلب الروايات العربية الأولى والتي ركزت على بيئتها المحلية فوصفت عاداتها وتقاليدها المؤثرة بشكل مباشر على تشكل الهوية العربية وقد تمثل ذلك في رواية محمد حسين هيكل والتي تعد أول رواية عربية حاول الكاتب فيها تصوير الصراع بين الحداثة والتقليد ورسم صور الشخصيات ، فكانت شخصية الفتاة الريفية (زينب) المتمسكة بالتقاليد ومتطلعة إلى كل ماهو قادم وجديد .

رغم معاناتها من القيود المجتمعية عندما أحبت فتى أسمة حامد [14] ، وكل ذلك أثر في اظهار هوية الفرد ، المصري القروي , فالأدب يلعب دوراً اساسياً في إثبات الهوية الثقافية وكذلك يساهم في إثبات الذات الشخصية ، من خلال تدوين أثار وتراث الوطن الثقافية والاجتماعية . والهوية العربية ((ولدت روائياً مع مولد الرواية العربية نفسها مهما تعددت البدايات وزادت حولها مساحات الاختلاف عبر الجهود الساعية لاكتشاف في النص الأول))[15] ، فرواية زينب عام 1914 كانت الانطلاقة لكشف الذات ، وجاء بعدها روايات لأدباء عرب جسدوا الهوية بداية من العنوان الذي يعتبر العتبة الأولى للنص ، فمثلاً رواية يوميات (نائب في الأرياف) للكاتب توفيق الحكيم التي نشرت عام 1937 جسد من خلال العنوان بعداً حضارياً عميقاً دالاً على الهوية من خلال شخصية النائب الذي ارسل للريف لإصلاح وضعها السياسي والاجتماعي ، فالعنوان عتبة سيمائية دالة على النص و ((مشفرة بنظام علاماتي دال على عالم من الإحالات ، وتحديد تلك الوظائف بهم ولاشك في فهم دلالة النص وإن كان غامضاً ينقصه التربط والانسجام بين عناصر الاتساق ، ولهذا فإن أول درجة يطؤها السيميائي في سلم النص ، هي استقراؤه واستنطاقه للعنوان في بنيته السطحية الصحفية))[16] وما اختاره توفيق الحكيم من عنوان قد دل على مضمون الرواية بل فسرها ورسم خطوطها .

المبحث الثاني

عناصر تشكيل الهوية في روايات نجيب محفوظ

أن موضوع الهوية أصفه كما وصفه العرب موضوع ذو شجون , وهذه الشجون تأتي من الخيبات المتتالية التي تصيب عالمنا العربي , حيث خسرنا معاركنا مع الأخر , فقد خسرنا معركة التقدم العلمي بشقيه الطبي والتكنولوجي، فالأخر اليوم تقدم بشكل كبير من الناحية الجراحية وصناعة الأدوية وكل ما يتعلق بالطب وكذلك التقدم التكنولوجي وما يحدث من ثورة معلوماتية ومن ثم خسرنا حرباً أخرى ألا وهي الحرب الاقتصادية , فالأخر هو من يتحكم باقتصادنا ويجبرنا للخضوع من خلاله , لم يبق لنا سوى هويتنا التي لولا القرآن الكريم لتفرق العرب وتكلموا بلغات مختلفة وفدت لهم من خارج الحدود .

فأول عنصر من عناصر تحديد الهوية هو اللغة , وهي أهم العناصر , فلو سمعنا شخصاً يتكلم اللغة الروسية نقول أنه ينتمي للأمة الروسية وهكذا مع اللغات الأخرى .

فتعتبر اللغة العامل المشترك لتحديد البلدان ومعرفة الأمم التي تتكلم بها , وإذا امعنا النظر في الوطن العربي وحاولنا تسليط الضوء على تحديد هويته لوجدنا اشتراكهم في لغة واحده وهذه اللغة هي من حددت هويتهم الكبرى , لكن بنفس الوقت هناك هويات متفرعة من الهوية الكبرى , وتعتمد على تعدد مستويات اللغة , فمثلاً لهجة الجزائر وتونس تختلف عن لهجة دول الخليج العربي ولهجة المصريين تختلف عن اللبنانيين وهذا الاختلاف بمستويات اللغة هو اختلاف هوياتي , وكذلك لو تأملنا في البلد الواحد مثل العراق لرصدنا لهجة الجنوب تختلف عن الشمال , أذن هذا التنوع في اللهجات هو تنوع بمستويات اللغة وبالتالي اصبحت لدينا هويات فرعية ((مما يجعلنا ندرك أن الهويات الفرعية ممكن أن تأخذ طابع ايجابي أذ تجعل حياة المجتمع تتجه وتتطور نحو الأفضل وأن كانت على حساب الهوية المركزية أو القومية)) [17] ، ويستمر التنوع والاختلاف الهوياتي إلى أصغر وحدة وهي وحدة الذات البشرية فلكل شخص ذات ((الأنا)) التي تميزه عن غيره من البشر , لأن ((هوية وحدة الذات (الأنا) هي ما تجعلنا نتميز عن الأخر لامتلاكنا خصائص عقلية وسلوكية ثابتة ومتغيرة واعية وغير واعية مرتبطة بالتكوين النفسي له ومصيره وتجاربه الماضية وطبيعة قراراته المصيرية في حاضرة ومستقبله))[18] .

العوامل الثقافية :

أهم العوامل الثقافية في تشكيل هوية الفرد هي اللغة والدين والمعتقد والأعراف والتقاليد وقد مثلها الروائي نجيب محفوظ خير تمثيل في رواياته حيث ((جاء نجيب محفوظ إلى الكتابة في جنس الرواية عن اختيار . إذ كان عليه وهو يرتسم مسار تحديد التوجه الذي يتخذه , إذا ما الممنا للتفوق الذي حازه في المجال الفلسفي كما يؤكد في مذكرته , (---) فالاختيار الأدبي , وبالضبط السردي متمثلاً في حيث الرواية إدراك لكونها الأقدر على الإحاطة والالمام بالوجود الإنساني)) [19]

***اللغة** / أهتم نجيب محفوظ في لغته السردية حيث كان من أكثر الروائيين اهتماما بثقافة ولغة أبطال روايته وما تفيض لغتهم من مفردات وتراكيب تناسب البيئة والمجتمع المصري ، رغم انتقادات النقاد على لغته البسيطة واعتبرها لغة غير شعرية ، لكن نجيب استطاع بهذه اللغة اثبات هوية المكان الذي يتحدث عنه لتصل الصورة واضحة للمتلقي ففي رواية زقاق المدق استخدم الكاتب لغة بسيطة وصف فيها الحياة الاجتماعية في ذلك الحي ونقل مشاعرهم وواقع حياتهم المرهقة , ((ووفق ذلك يكون العالم الروائي عالماً موضوعياً يتأثث بوعي الشخصيات وبلغاتها ونبراتها ، وتصف المؤلف وراء هذا العالم متخفياً صانعاً , ولكن لا يفرض وعيه صُوته على تلك الشخصيات)) [20] ، فاللغة وأن كانت بسيطة فهي معبرة عن المكان والزمان الشخوص وكما وصف أم حميدة في زقاق الحدث ((كانت أم حميدة ربعة ممتلئة في الستين ، ولكنها معافاة قوية , جاحظة العينين ، محدورة الخدين ذات صوت غليظ قوي النبرات , فاذا تحدثت فكأنها تزعق , وهو سلاحها الأول فيما يشجر بينها وبين الجارات من نزال ، ولم تكن مرتاحة للزيارة بطبيعة الحال))[21]

ففي النص المقتطع من رواية زقاق المدق نجد اللغة واضحة ومناسبة للغة الجمهور وقادرة على ايصال المعلومة بصورة تقريرية للمتلقي ، وخير من وصف اللغة والكلمة عند الاديب الشاعر عبد الوهاب البياتي قال ((إن بعض الكلمات لتكتب في عيني أحياناً صفات الكائن الحي , فلا تكون مجرد كلمات مفردة ؛ إذ تضغط وتؤدي فيها عوالم كبيرة ورؤى وذكريات حتى تصبح أشبه بالقمقم الذي جسد فيه العفريت او الجني الذي هو الحياة ، تظل مثل هذه الكلمات تطاردني وتفرض عليّ وجودها بصورة طبيعية كأنها جزء من ذاتي وليس عبئاً عليها وهي احياناً رموز ومفاتيح لأشياء , نسيت وماتت وترسبت في اعماق الروح , وفي احيان أخرى تصبح دلالات اشياء غير موجودة في هذا العالم على الاطلاق , أو اتمنى أن تكسب هذا الوجود)) [22]

فلغة نجيب محفوظ بعيدة عن الغموض والإبهام وبذلك شكلت عنصر مهماً من عناصر تشكيل الهوية , وهذا المستوى من اللغة يمكن عده لهجة واللهجة هي هوية الجماعة التي تمكث في مكان وزمان محددين ، ومجتمع زقاق المدق الذي ضم الفوارق الطبقية من فقراء معدمين والطبقات الوسطى , وجه الأديب من خلالها نقداً للوضع المتردي في المجتمع المصري في تلك الفترة فعندما ((نقرأ المجموعة القصصية همس الجنون ، وكذلك الروايات التاريخية المبكرة لمحفوظ ، سنلاحظ معاناة محفوظ مع اللغة وقلقة إزاءها ، بالرغم من مظاهر الفصاحة والبيان , ففي تلك المرحلة اعتمد محفوظ شأن لكتاب النصف الأول من القرن العشرين على القوالب اللفظية والتعبيرية التقليدية ، وعلى التراكيب شبه الجاهزة دون لتمييز الشخصية بكفه ملائمة لها . ومع روايات الأربعينات التي تمثل المرحلة المكانية عند محفوظ (القاهرة الجديدة /1945 , خان الخليل/ 1946, زقاق المدق/ 1947, خطا محفوظ خطوة واسعة باللغة السردية من ناحية تحريرها وانطلاقها لتكون أكثر تعبيراً وأشد ارتباطاً بالمناخ السردي الذي تعبر عنه))[23]

فالقارئ العربي اعتاد على لغة محفوظ الواضحة واسلوبه السلس , وتوجه أغلب الباحثين والدارسين لدراسة لغة نجيب محفوظ واستنباط جمالياتها من خلال استخدامه للهجة العامية واللغة الفصحى في الحوارات .

*** التقاليد والعادات**

تعتبر العادات والتقاليد الذاكرة الحية للمجتمع والعنصر الأهم في إثبات الهوية لمجتمع أو طائفة معينة ، ((وهي مجموعة من قواعد السلوك التي تنتج عن أتفاق مجموعة من الأشخاص وتستمد قوتها من المجتمع ، وتدل على الأقوال والأفعال التي حدثت في الماضي وكذلك الحكم المتراكمة التي مرّ بها المجتمع ويتناقلها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل))[24]، وأستطاع محفوظ من رصد دقيق في (الثلاثية) الواقع المجتمعي بموروثاته العقائدية، وطقوسه ، وفقا للتصور العقائدي الذي يعتقد به المصريين رصدا بمنتهى الدقة دون تحيز لمعتقد ، بل جاء بطريقة أدبية سردية دون افتعال خلاف بين المذاهب . كما رصد نجيب التعايش السلمي بين كل المعتقدات المجتمعية على اختلاف مستوى الأسرة مع إبراز نقمة صاحب المعتقد نفسه على معتقده.

((أوحشتنا يا شيخ متولي ...منذ عاشوراء لم نستمتع برؤيتك.. فقال الرجل ببساطة ودون مبالاة : أغيب كما يحلو لي ، و أحضر كما يحلو لي ، ولا أسأل عن السبب ، فأبتسم السيد الذي الف أسلوبه وتمتم قائلاً : إذا غبت فأن بركتك لا تغيب))[25] ، بين المؤيد الأكثر تشدداً وبين الرافض المُنكر، وبذلك استطاع اظهار واقع المجتمع في الجيل الثالث و انفصاله عن ثقافته الشعبية المحايدة ، فنتجت الهيئة الدينية الرافضة للطرف الآخر وإقصائه من المجتمع، مثلما تمكن من تصوير مواقف الأحزاب المتأسلمة التي ترى في المجتمع جاهلاً، ويجب أقصائها وتكفيرها إن لم تنتمي إلى جماعتهم.

وعلى صعيد متصل تجلت أصداء الرواية الثلاثية في الربط بين معتقد الناس العامة والمعتقد الإلهي في المفهوم الحِّسي عند الشخصية المصرية، وهذا ما أكده محفوظ على لسان الشخصية الأبرز السيد أحمد عبد الجواد مبررا لهذا الخلط الحسي برخصة إلهية بأن الله جميل يحب الجمال، مما يعكس نتاج الثقافة المجتمعية لدى فئات المجتمع المصري التي تأثرت بتجليات الصوفية والتي تخلط بين الجسد والروح، والميل إلى استخدام مفردات وجمل دينية في قالب عشق المحبوب، بهدف الوصول من قمة التجلي الجسدي إلى الروحي، ومن ثم وجه الله. ويفسر هذا إحالة مفردات المعجم الديني إلى مفردات القاموس الشعبي، باعتبارها نوع من ظاهرة فريدة في مزاجية المصريين.

(ملخص عن رواية أولاد حارتنا)

((لقد عالج الكاتب فى هذه الروايةّ ست شخصيات أصلية هي الجبلاوي وأدهم وجبل ورفاعة وقاسم وعرفة وقسم الرواية إلى 114 جزءً ، يبدأ الجزء الأول منها بشخصية جبارة عظيمة الخلق فهي تمتلك او تدعى الجبلاوي يعيش الجبلاوي في البيت الكبير الذي يتكون من ثلاثة أدوار وفيه قسم خاص بالحريم ،إن للجبلاوي زوجات وأولاد كثيرين غير أن أشهر أولاده هم إدريس وعباس ورضوان وجليل وأدهم وقد تزوج الأخير خادمة اسمها أميمة. لقد قرر الأب أن يختار مندوباً ينوبه في إدارة الوقف لجمع الضرائب و كان الجميع يتوقعون دون أدنى شك أن إدريس هو المرشح الطبيعي لهذا المنصب غير أن الجبلاوي اختار أدهم على خلاف جميع التوقعات كان يمتاز به من معرفته بالحساب والعلم والأمانة مما سبب اعتراض إدريس على والده وطرده في نهاية المطاف من البيت الكبير ثم نجده يندس بين الناس ليصل إلى أدهم ويغربه بالنظر إلى الصندوق الذي يحتوي على أسرار العائلة فى البيت الكبير مما يؤدي إلى طرد أدهم وأميمة من البيت إذ إن أميمة كانت تساعده على ذلك وتشجعه. غيرّ أنّحب أدهم لأبيه دفعة إلى بناء كوخ بالقرب من البيت الكبير وأنجب ولدين هما همام وقدري، كان همام يشبه والده غيرّ أن قدري كان يشبه عمه إدريس .ومنّثم نجدّ أن قدري قتلّهماماً ويشيرّهمام في النهاية إلى أن أبناء قدري وهند "ابنة إدريس" هم الذين انتشروا في الحارة ويتسببون دوماً في النزاع فيها وهذا إشارة واضحة إلى أن الجميع يعودون في جذورهم إلى إدريس))[26]

*** المكان الروائي**

يعد المكان الروائي هو التأطير الفني للمكان و الذي ينقل الواقع نقلا فنيا دقيقا، إذ يشعر المتلقي بالتحليق من الواقع بأجنحة الخيال لعالم أكثر صفاء وجاذبية ، وهنا يستخدم الراوي ((المكان متنفسا للشخصيات والمسرود له على السواء، لم يكن وصف المكان لتحديد بإسقاطات الذات وصولا يكتفي بتسمية الأشياء وحسب، بل كان مقروناً هنا وصفاً هيكلياً عاماً دلالات قصدية))[27] .

فيعتبر نجيب محفوظ من اكثر الروائيين الذين أتخذ المكان عنصراً مهماً لإبراز الهوية الوطنية ولا أبالغ حين أقول لا تخلوا رواية من رواياته إلا وذكر فيه المكان وبالتحديد (الحارة) والتي أصبحت ((تقوم بدور الاستديو الكبير لعدد من رواياته ، ولكنه استديو الذي يحتضن التصوير الداخلي وتكون القاهرة خارج الحارة بمثابة استديو خاص بالتصوير الخارجي))[(28)] ومن الروايات التي تضمنت الحارة الشعبية في مصر هي (الثلاثية) والتي ضمت ثلاث روايات هي بين القصرين وقصر الشوق والسكرية , قد ذكرنا الحارة كلهن , وكذلك رواية اللص والكلاب والتي كانت مستوحاة من واقعة حقيقية حدثت في الحارات المصرية أما الحرافيش فهو اسم حارة تقع في حي جمالية فالمكان ((لعب دورا كبيرا في أغلب إبداعات الروائي نجيب محفوظ حيث يسعى إلى رؤي الواقعية نجد مشكلات الحارة المصرية وفي نفس الوقت تعبر عن هموم وتطلعات هؤلاء الحرافيش)) [29]، وكما جسد عنصر المكان في رواية زقاق المدق ((أذنت الشمس بالمغيب والتف في غلاله سمراء من شفق الغروب , زاد من سمرتها عمقاً أنه منحصر بين جدران ثلاثة قصائد كالمصيدة له باب على الصنادقية ثم يصعد صعوداً في غير انتظام عَف بجانب منه دكان وقهوه وفرن ، ويحف بالجانب الاخر دكان ووكالة ، ثم ينتهي سريعاً كما مجده العابر ببيتين متلاصقين ، يتكون من طوابق ثلاثة))[(30)] ، فنجد في النص المقتطع من الرواية والذي افتتح به الاديب روايته ((تتقدم فيه الصورة المكانية الأليفة على أي عنصر أخر ، ثم يختار زمن الغروب ليكون أول لحظات رسمه وتصريحه والزمان هنا ليس إلا مؤشراً على تلاشي المكان وبدايات أقواله وتفسيره رغم مظاهره الانعزالية))[(31)] .

ومن الأمثلة عما تقدم ذكر نجيب محفوظ الحارة أو المكان في ثلاثيته في أغلب المواضع ((لما بلغت به قدماه طريق المجالية انقبض صدره حتى شعر أنه أختنق , لقد غاب عند أحد عشر عاماً , أحد عشر عاماً تصرمت , فلم ينازعه القلب إليه مرة واحدة , أو ترف عليه ذكرى من ذكرياته إلا في حالة قاتمة مقبضة نسيج وشيها من مادة الكابوشا))[(32)] ، محفوظ كان يقدس الأماكن التي عاش فيها فعندما يذكرها أو يمر بها ينتابه شعور اللهفة والحنين , فهذا ما يدعوا إلى ترسيخ الهوية لدى الروائي , فنجد أغلب رواياته بأسماء الأماكن (خان الخليل والسكرية وقصر الشوك وزقاق المدق) دلالة على الانتماء والذوبان في حب بلده , فالمكان ((دون سواه يثير إحساس بالمواطنة وإحساس آخر بالزمن وبالمحلية حتى التحسبه المكان الذي لا يحدث شيء بدونه , فقد حمله بعض الروائيين بلادهم , وما مطامح شخوصهم , فكان واقعاً ورمزاً وتأريخاً قديماً وآخر معاصر , شرائح وقطاعات , مدناً او قرى , حقيقة وأخرى مبنية على الخيال كياناً تتلمسه وتراه , وكوناً مهجوراً غرفته سديمات لا نهاية لها))[(33)] ، وهنا لابد ((أن يهتم الكاتب القصصي بالمكان اهتماماً كبيراً ليعطي الحدث القصصي قدراً من المنطق والمعقولية ... كذلك ينبغي أن يعنى الكاتب بتصوير مفردات المكان الذي تتحرك فيه الشخصيات ، وأن القارئ قد يستشف من هذا التصوير دلالات كثيرة تفسر أو تعمق أموراً تتصل بالحدث أو بالشخصيات أو بهما معاً))[34] ، فعندما يصور لنا محفوظ نظرة أمينه زوجة احمد عبد الجواد من النافذة ويقول ((تصرع إلى المشربية فتحد بصرها الزائغ من ثقوبها إلى أنوار العربات والمقاهي وتصريح السمع لالتقاط ضحكة أو سعلة تسترد بها انفاسها))[35] ، فهذا التصوير الفني جعل من هذا الشارع يجسد كل معالم مصر , ففيه ضجيج العربات والبكاء والضحك والسعال والبيع

والشراء و ... وكل ما يحدث في المجتمع , فقد برع نجيب في تصوير الحياة في رواية بين القصرين وكان بارعاً بـ ((توزيع الأضواء والألوان والقدرة على توضيح خصائص الشخصية في التناسب والتلاحم مع الصياغة اللغوية ولغة الحوار التي تواكب كل شخصيته))[36] ، فكانت قدرته على خلط الواقع بالمتخيل في رواياته بحيث يصعب على المتلقي التفريق بينهما .

الخاتمة

أهم ما توصّل إليه البحث من نتائج:

1- أتخذ الأدباء العرب نهجاً في الأجناس الأدبية يؤكد على الهوية ، فقد كان المثقف العربي منبهراً بما يقدمه العقل الأخر من جماليات إبداعية في الفنون الأدبية .

2- تعد اللغة من أهم المكونات المحددة للهوية ، فهي وسيلة من وسائل التخاطب والتفاهم ووسيلة للتعبير عما تضمره النفس الإنسانية من عواطف وأحاسيس تجاه الأشياء.

3- ركزت الرواية العربية على بيئتها المحلية فوصفت عاداتها وتقاليدها المؤثرة بشكل مباشر على تشكل الهوية العربية وقد تمثّل ذلك في رواية محمد حسين هيكل والتي تعد أول رواية عربية حاول الكاتب فيها تصوير الصراع بين الحداثة والتقليد ورسم صور الشخصيات.

4- استخدم نجيب محفوظ في رواية زقاق المدق لغة بسيطة وصف فيها الحياة الاجتماعية ونقل مشاعرهم وواقع حياتهم المرهقة ، فهي لغة واضحة ومناسبة للغة الجمهور وقادرة على ايصال المعلومة بصورة تقريرية للمتلقي.

5-يعتبر نجيب محفوظ من اكثر الروائيين الذين أتخذ المكان عنصراً مهماً لإبراز الهوية الوطنية ، ولا أبالغ حين أقول لا تخلوا رواية من رواياته إلا وذكر فيه المكان وبالتحديد (الحارة) .

الهوامش:

[1] حسن عليان ، العرب والغرب في الرواية العربية ، دار مجدلاوي للنشر في عمان ، ط1 ، 2004 ، ص27 .

2 علي حرب ، حديث النهايات – مستوحات العولمة ومأزق الهوية ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، 2014 ، ص12 .

3 ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، الناشر : الهيئة العامة للكتاب ، ط4 ، ص34 .

4 ينظر : إدوارد سعيد ، الثقافة والإمبريالية ، ترجمة : كمال أبو ديب ، مكتبة بغداد – دار الآداب ، بيروت – لبنان ، ط4 ، ، ص42 .

5 عبد السلام المصري ، الهوية العربية والأمن اللغوي ، الناشر : المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة ، قطر ،ط1 ،2014 , ص29 .

6 علي حرب ، حديث النهايات – فتوحات العولمة ومأزق الهوية ، ص11 .

7 مجموعة باحثين ، الإسلام الأوربي وصراع الهوية – صراع الهوية و الاندماج ، مركز الميار للدراسات والبحوث ،ط1 ،2010 ، ص10 .

8 المصدر نفسه ، ص19 .

9 ينظر : الثقافة والامبريالية ، ادوارد سعيد ، ترجمة كمال أبو ديب ، ص10 .

10 حرب اللغات والسياسة اللغوية ، لويس فأن كالفي ، ترجمة : حسن حمزة ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2008 ، ص221 .

11 انشقاق الهوية – جدل الهوية ولغة التعليم في المغرب الأقصى من منظور تاريخي , من كتاب اللغة والهوية في الوطن العربي المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، احمد جبرون ، ط 1 ، 2013 . ص53 .

12 المصدر نفسة ، ص52 .

13 تعدد الأصوات ومركزية الهوية في الرواية العربية ، د.مصطفى الضبع ، المؤتمر الدولي النقدي الأول ، السعودية ابريل ، – ص 444 .

14 ينظر : رواية زينب ، محمد حسين هيكل ، دار القلم للطباعة والنشر ، بيروت ،لبنان .

15 تعدد الأصوات ، ص 44 .

16 علم السميائية والعنوان في النص الادبي ، بلقاسم دقه ، جامعة محمد خضير سيكرة ، كلية الآداب ، دار الهدى ، الجزائر ، ، ص39.
17 الهوية وأثرها في الواقع السياسي العراقي , م . د رنا مولود شاكر , المجلة السياسية والدولية , مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية , جامعة بغداد , ص 575 .
18 المصدر نفسه , ص 568 .
19 في التمثيل النقدي والابداعي , روايات نجيب محفوظ في الأدب المغربي الحديث , صدق نور الدين ، دار الان ناشرون وموزعون ، 2024 ، ص 10 – 11 .
20 الرواية العربية , واللغة تأملات في لغة السرد عند نجيب محفوظ ، د محمد عبيد الله , دراسات أزمنة القاهرة , ص 42.
21 زقاق الهدف ، نجيب المحفوظ ، دار الشروق ، القاهرة , ط 1 , 2006 , ص 19 .
22 تجربتي , عبد الوهاب البياتي , منشورات نزار قباني ، بيروت ، ط 1 ، 1997 ، ص52
23 الرواية العربية واللغة (تأملات في لغة العدد عند نجيب محفوظ) , د . محمد عبيد الله , ص 22 .
24 الخوف من العادات والتقاليد في السرد النسوي العراقي من 2003- 2020 ، أ. محمد رمضان محمد و أ.د سوسن هادي جعفر ، مجلة ابن خلدون للأبحاث والدراسات ،م4 ، ع 7 ، 2024 ، ص111.
25 بين القصرين ، نجيب محفوظ ،جدران المعرفة للعمل التطوعي ، ص 46
26 روايات نجيب محفوظ في ضوء النقد الاجتماعي مع عناية خاصة ب أولاد حارتنا ، عبد القاسم ترابي وسيدي حسين سيدي ، أضاءات نقدية (فصلية محكمة) ، السنة الرابعة ، ع 13 ، 2014، ص 39 .
27 أنواع المكان الروائي وبناؤه ودلالته في رواية مرسى فاطمة ،حجي جابر دراسة سيميائية إعداد: د: سعدية موسى عمر البشير ص9

28 العناصر السينمائية في روايات نجيب محفوظ , مصطفى الضبع , دورية نجيب محفوظ , المجلس الاعلى للثقافة , القاهرة ,ص 5 .
29 المصدر نفسه ، ص9 .
30 زقاق المدق ، نجيب محفوظ ، ص 5-6 .
31 نجيب محفوظ : الرواية , شعر الدنيا الحديثة ، د . محمد عبيد الله ، مجلة جامعة فلاديفيا الأردنية ، ص4 .
32 بين القصرين , نجيب محفوظ , جدران المعرفة , ص 126 .
33 اشكالية المكان في النص الأدبي , ياسين النصير , ط1 , بغداد , 1986 , ص 86 .
34 طه وادي، دراسات في نقد الرواية، 1994م، الطبعة الثالثة، ص 37-36

35 بين القصرين ، نجيب محفوظ
36 دراسة في أدب نجيب محفوظ , د . رجاء عبد , منشأ المعارف , مطبعة الاطلس , 1974 , القاهرة , ص 8 .

المصادر والمراجع

1. إدوارد سعيد ، الثقافة والإمبريالية ، ترجمة : كمال أبو ديب ، مكتبة بغداد – دار الآداب ، بيروت – لبنان ، ط4 ، 1914.
2. الإسلام الأوربي وصراع الهوية – صراع الهوية و الاندماج ،مجموعة باحثين ، مركز الميار للدراسات والبحوث ،ط1 ، 2010.
3. اشكالية المكان في النص الأدبي , ياسين النصير , ط1 , بغداد , 1986.
4. انشقاق الهوية – جدل الهوية ولغة التعليم في المغرب الأقصى من منظور تاريخي , من كتاب اللغة والهوية في الوطن العربي المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، احمد جبرون ، ط 1 ، 2013.
5. أنواع المكان الروائي وبناؤه ودلالته في رواية مرسى فاطمة ،حجي جابر دراسة سيميائية إعداد: د: سعدية موسى عمر البشير .
6. بين القصرين ، نجيب محفوظ ،جدران المعرفة للعمل التطوعي .
7. تجربتي , عبد الوهاب البياتي , منشورات نزار قباني ، بيروت ، ط 1 ، 1997 .
8. تعدد الأصوات ومركزية الهوية في الرواية العربية ، د. مصطفى الضبع ، المؤتمر الدولي النقدي الأول ، السعودية ابريل ، 2015.
9. حديث النهايات – مستوحات العولمة ومأزق الهوية ،علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، 2014 . 10- الخصائص ، ابن جني ،أبو الفتح عثمان ، الناشر : الهيئة العامة للكتاب ، ط4.
10. حرب اللغات والسياسة اللغوية ، لويس فأن كالفي ، ترجمة : حسن حمزة ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2008 .
11. الخوف من العادات والتقاليد في السرد النسوي العراقي من 2003- 2020 ، أ. محمد رمضان محمد و أ.د سوسن هادي جعفر ، مجلة ابن خلدون للأبحاث والدراسات ،م4 ، ع 7 ، 2024
12. دراسة في أدب نجيب محفوظ , د . رجاء عبد , منشأ المعارف , مطبعة الاطلس , 1974 , القاهرة.

13. روايات نجيب محفوظ في ضوء النقد الاجتماعي مع عناية خاصة ب أولاد حارتنا ، عبد القاسم ترابي وسيدي حسين سيدي ، أضاءات نقدية (فصلية محكمة) ، السنة الرابعة ، ع 13 ، 2014 .
14. الرواية العربية , واللغة تأملات في لغة السرد عند نجيب محفوظ ، د محمد عبيد الله , دراسات أزمنة القاهرة ..
15. رواية زينب ، محمد حسين هيكل ، دار القلم للطباعة والنشر ، بيروت ،لبنان .
16. زقاق الهدف ، نجيب المحفوظ ، دار الشروق ، القاهرة , ط 1 , 2006 .
17. طه وادي، دراسات في نقد الرواية، 1994م، الطبعة الثالثة.
18. العرب والغرب في الرواية العربية ، حسن عليان ، دار مجدلاوي للنشر في عمان ، ط1 ، 2004.
19. علم السميائية والعنوان في النص الادبي ، بلقاسم دقه ، جامعة محمد خضير سيكرة ، كلية الآداب ، دار الهدى ، الجزائر ، 2000.
20. العناصر السينمائية في روايات نجيب محفوظ , مصطفى الضبع , دورية نجيب محفوظ , المجلس الاعلى للثقافة , القاهرة .
21. في التمثيل النقدي والإبداعي , روايات نجيب محفوظ في الأدب المغربي الحديث , صدق نور الدين ، دار الان ناشرون وموزعون ، 2024 .
22. نجيب محفوظ : الرواية , شعر الدنيا الحديثة ، د . محمد عبيد الله ، مجلة جامعة فلاديفيا الأردنية.
23. الهوية العربية والأمن اللغوي ، عبد السلام المصري ،الناشر : المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة ، قطر ،ط1 ،2014.
24. الهوية وأثرها في الواقع السياسي العراقي , م . د رنا مولود شاكر , المجلة السياسية والدولية , مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية , جامعة بغداد.